الخليج

ثقافة, يوميات ثقافية

3 مارس 2023 19:20 مساء

ماري إدواردز».. مجتمع مثقفي لندن في لوحة»

الشارقة: عثمان حسن

الرسام الإنجليزي ويليام هوغارت (1697 ـ 1764) ولد في العاصمة لندن، وهو أول فنان إنجليزي يحوز على إعجاب المهتمين بالفنون من خارج إنجلترا، اشتهر بلوحاته ونقوشه التي تصور موضوعات أخلاقية وساخرة، كما قدم مجموعة من البورتريهات التي تصور الحياة الواقعية للمجتمع اللندني. تعاطف هوغارت مع مثقفي الطبقة الوسطى على وجه التحديد، وكان يرى فيهم كل أسباب الاستنارة والتسامح والتعقل.

قوبلت محاولات هوغارت كرسام تاريخي ورسام بورتريه بخيبة أمل من الناحية المالية، ومع ذلك، فقد كان لنظرياته الجمالية تأثير ملحوظ في الأدب الرومانسي أكثر من الرسم.في صغره، لم يكن راغباً في الدراسة، فمال إلى تقليد الشخصيات التي يصادفها من خلال الرسم، ساعده في ذلك زياراته المتكررة لواحدة من ورش الرسم المحلية.

في الخامسة عشرة من عمره، سعى هوغارت للحصول على تدريب أقوى في مجال الفن، فتعلم حرفة النقش على الفضة

والذهب بتصميمات تحمل عبارات من تأليفه، وتحاكي شعارات النبالة في زمنه، مع مرور الوقت أصبح له أسلوبه في الرسم الذي يتبع نظاماً منهجياً وغير تقليدي.

روح الدعابة في السلوك البشري، والميل إلى مشاهدة العروض الفنية خاصة المسرح، وتلك الأجواء المفعمة بالحيوية في شوارع لندن، هي الحياة التي انعكست في عدد غير قليل من أعمال هوغارت، فقد شعر بالانجذاب إلى المقاهي التي يرتادها الكتاب والموسيقيون والممثلون والمهنيون الليبراليون، وشكل صداقات دائمة مع كثير من هؤلاء.

قيم تعبيرية *

في فترة الملك جورج الأول التي استمرت لنحو ست سنوات، أنشأ هوغارت متجراً بمفرده في سن 23 عاماً، بغرض الهروب من القيود الصارمة المفروضة على الفن، بدأ بالالتحاق بمدرسة الرسم الخاصة في سانت مارتن لين، وانضم إلى مجموعة من الطلاب، وكان لديه نفور طبيعي من نسخ أو تقليد اللوحات، وهذا الرفض الغريزي للتدريب المنهجي، جنبا إلى جنب مع ميوله المتمردة، أقنعه بأن أفضل طريقة للفت الانتباه تكمن في الحياة الواقعية. وكان يهتم بشكل رئيس بالقيم التعبيرية بديلا عن القيم المنهجية السائدة، فطور أسلوبا من فن الاستذكار البصري من خلال مراقبة المشاهد والتفاصيل الحياتية اليومية ثم تدريب ذاكرته البصرية من خلال مراقبته المتعمقة للمشهد الحياتي وإفراغ ذلك كله على الرسم، وبذلك يكون قد استغنى عن الدراسات الأولية في الرسم، وألزم أفكاره مباشرة بترجمة المشهد على الورق أو القماش.

شهرة *

في فن البورتريه رسم هوغارت واحدة من أبدع أعماله وهي لوحة «ماري إدواردز» وهي الشخصية التي برزت في القرن الثامن عشر، حين كان هوغارت معروفاً كأبرز فناني المجتمع، وقد ذاع صيته كفنان مشهور من خلال إنجازه لعدد من البورتريهات الشخصية، وما فيها من تفاصيل وحيوات ذلك المجتمع.

تعرف هوغارت إلى ماري إدواردز في أوج ازدهاره الفني، وصارت واحدة من صديقاته المقربات، وأكثر من ذلك، قامت بتبني الكثير من أعماله، ودفعها للمشاركة في المعارض الفنية، وقيل أنها كانت أغنى امرأة في انجلترا آنذاك، وكانت راعية للفنون، فرأى هوغارت أن يكرمها بلوحة فنية، خاصة وأنها كانت بمثابة مصدر إلهام للكثير من الفنانين.

يعود تاريخ اللوحة إلى عام 1742، قبل عام من وفاة ماري إدواردز وكان البورتريه بمقاس كبير (أبعاده 126 × 101 سم) وقد استخدم هوغارت الزيت على القماش لإنتاج اللوحة.

في الرسم، جعل هوغارت ماري الشخصية المركزية، فأظهرها بثوب أحمر لامع، ولكن ليس مفرطاً في التفاصيل.

برزت خلفية المشهد بلون داكن، وبالمثل، فقد ظهرت وهي ترتدي تشكيلة من المجوهرات المزخرفة، ولكنها ليست باهظة الثمن. سمح له أسلوبه الفني بأن يبدع في التفاصيل، فأظهر المكانة الرفيعة التي كانت تحتلها ماري كراعية للفنون، من خلال ما ضمنه في خلفية الرسم من تحف نصفية، وكرة أرضية، وبعض التفاصيل الزخرفية التي تظهر إدواردز امرأة رصينة، تتمتع بالحكمة، وتقدر الثقافة والمثقفين.

تضع ماري يدها على رأس كلب يستلقي بجانبها، وينظر إلى صاحبته، بعاطفة بادية في مظهره، كان تضمين الكلب في

الرسومات الشخصية، ليس معتاداً في صور النساء، فظهوره كان ملتصقاً بالموضوعات التي تخص الرجال، أما الكلب في تلك اللوحة فقصد منه الفنان أن يقدم للمشاهد فكرة شاملة عن حياة ماري، ومن ذلك، أنها كانت امرأة واثقة بنفسها.

نظر النقاد إلى اللوحة بوصفها «تحفة فنية» من بين رسومات ويليام هوغارت لشخصيات الطبقة الوسطى، بل كانت من أشهر أعماله التي تصور امرأة، منخرطة بقوة في أعمال اجتماعية كثيرة في المجتمع الإنجليزي، وتعرض اللوحة الآن ضمن مجموعة «فريك» في مدينة نيويورك.

سخرية *

في سنواته الأخيرة، عانى هوغارت الاعتلال الصحي، وبسبب رفض أحد رعاة الفنون تبني لوحة سوسكاردو 1759 وما فيها من سخرية سياسية أصيب بالكآبة قبل أشهر قليلة من وفاته.

"حقوق النشر محفوظة "لصحيفة الخليج .2024 ©